عمليـة الحـوار، والتي اتخذ بشأنها، مؤخراً، قرار رسمي في عمان، ليست مطلوبة من أجل تهدئة المعـارضـين، وليست مطلوبـة من أجـل توسيـع إطار المؤيدين، بل هي مطلوبة باعتبارها أساس الدبلوماسية الفلسطينية في هذه المرحلة، فهي مطالبة بأن تكون دبلوماسية شعبية ـ فكرية ـ سياسية ـ تاريخية. ان صانع القرار السوري ليس مطالباً بأن يشنّ حملة تعبئة جماهيرية يشرح فيها لماذا يجب استعـادة الجـولان المحتل، فهذه قضية تدافع عن نفسها بنفسها، ولكن القائد الفلسطيني مطالب بأن يحاور وأن يشرح وان يواصل الشرح، حول كيف يمكن للحكم الذاتي ان يقود الى دولة فلسطينية؟ وكيف يمكن للدولة الفلسطينية، ان تكون أساساً لحل مشكلة «حق العودة»، باعتبارها جوهـر المـوضـوع الفلسـطيني؟ واذا أخطأت القيادة الفلسطينية، وحصرت نفسها في إطار عملي دبلوماسي سري، فستفقد سندها الاساس في معركة التفاوض، ونعني به القناعة الشعبية الفلسطينية، بأن العملية التفاوضية تسير في اتجاه تحقيق مصالحها.

● ونقـطة أخـيرة نوردها، في هذا السياق، وهي أن التفاوض مسألة لا تتعلق لا ببراعتنا ولا بنوايانا. ان أساسها ما هو موضوع رسمياً على طاولة المفاوضات. والانجاز فيها ليس ما نعتبره نحن انجازاً، بل ما يقبل به الآخرون، أو ما يمكن ان يفرض عليهم. ان وفودنا تطرح، دائماً، مسألة حق اللاجئـين بالعودة الى فلسطين، بينما ينسحب الوفد الاسرائيلي كلما طرحت هذه المسألة. ووفودنا تطالب، دائماً، بأن يتمّ ادراج قضية القدس على جدول أعمال المفاوضات، ولم يتم ذلك حتى الآن. والاعتراف بهذه الحقيقة هو الذي يمكن ان يوقف الحوار الفلسطيني على رجليه، فلكي تحل مشكلة يجب ان تعترف بوجودها أولاً.

في إطار هذه النقاط المذكورة أعلاه، يمكن ان نتقدم خطوة الى الامام، لنناقش، مباشرة، مشكلات التسوية والمفاوضات الجارية حولها:

اولاً: ما قبل المفاوضات

من الأمور المسلم بها، والتي يعترف بها المفاوض الفلسطيني، ان منظمة التحرير الفلسطينية ذهبت الى المفاوضات بعد أن وافقت على «شروط مجحفة» هي الشروط التي تعرف بـ «صيغة مدريد»، وهي شروط وضعهـا وفـرضها وزير الخارجية الاميركي، جيمس بيكر. لقد كان جوهر هذه الصيغة التسليم بشروط اسرائيل للتفاوض، مع التبنّي الاميركي لهذه الشروط:

● الغاء فكرة التفاوض عبر المؤتمر الدولي، وتحت رعاية الامم المتحدة، والقبول بفكرة التفاوض المباشر والثنائي، وعلى أساس المبادرة الاميركية، مبادرة الرئيس جورج بوش القائمة على قاعدتي: الأرض في مقابل السلام، وقراري مجلس الامن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨.

● الغاء فكرة التفاوض مع ممثلي الشعب الفلسطيني ومع منظمة التحرير الفلسطينية بالذات، والاصرار على التفاوض مع وفد من الضفة الفلسطينية وقطاع غزة.

● القبول بفكرة التفاوض على مرحلتين: مرحلة الحكم الذاتي أولاً، ثم مرحلة الحل النهائي، وتأجيل التفاوض حول قضية القدس الى مرحلة الحل النهائي.

● قضية اللاجئين الفلسطينيين منذ العام ١٩٤٨، تطرح في المفاوضات المتعددة ولا تطرح في المفاوضات الثنائية.

هذه هي أبرز القضايا التي استندت اليها صيغة مدريد، اذا نحن رغبنا في تجاهل التفاصيل